

جزء

فيه الكلام على حديث
يتبع الميث ثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر يا كريم، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

في « الصحيحين » ^(١) من رواية عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم، عن أنس، عن النبي ﷺ قال : « يتبع الميت ثلاث ، فيرجع (ق/١ ب) اثنان ويبقى واحد : يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله» .

ورواه عمران القطان ، وحجاج بن حجاج ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : « ما من عبد إلا له ثلاثة أخلاء ، فأما خليل فيقول : ما أنفقت فلك ، وما أمسكت فليس لك ، فذلك ماله ، وأما خليل فيقول : أنا معك ، فإذا أتيت باب الملك رجعت وتركتك ، فذلك أهله وحشمه ، وأما خليل فيقول : أنا معك حيث دخلت ، وحيث خرجت ، فذاك عمله . فيقول : إن كنت لأهون الثلاثة علي » ^(٢) .

ويروى نحو هذا من حديث النعمان بن بشير مرفوعاً ^(٣) وموقوفاً .
وتفسير هذا : أن ابن آدم في الدنيا لا بدُّ له من أهل يعاشرهم ، ومال يعيش به ، فهذان صاحبان يفارقانه ويفارقهما .
فالسعيدُ من اتخذ من ذلك ما يعينه على ذكر الله تعالى ، وينفعه في الآخرة .

فيأخذ من المال ما يبلغ به إلى الآخرة ، ويتخذ زوجة صالحة تعينه على إيمانه .

(١) أخرجه البخاري (٦٥١٤) ، ومسلم (٢٩٦٠) .

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي (٢٠/٣) ، والحاكم (٧٤/١) ، والبيهقي (٣٧١) ، والبيهقي (٣٢٢٩-كشف) .

(٣) أخرجه البيهقي (٣٢٢٦-كشف الاستار) ، والحاكم (٧٤/١-٧٥ ، ٣٧٢) .

فَأَمَّا مَنْ اتَّخَذَ أَهْلًا وَمَالًا يَشْغَلُهُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَهُوَ خَاسِرٌ ، كَمَا قَالَتِ
الْأَعْرَابُ : ﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ
آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ^(٣) .

قال (ق ١/٢) الحسن وهو في جنازة : ابن آدم ، لئن رجعت إلى أهل
ومال ، فإن الثوى فيهم قليل .

وفي حديث : « ابن آدم ، عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب من شئت
فإنك مفارقة ، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه ، وكن كيف شئت ، وكما تدين
تدان » ^(٤) .

فإذا مات ابن آدم ، وانتقل من هذه الدار لم يتفع من أهله وماله بشيء ،
إلا بدعاء أهله له واستغفارهم ، وبما قدمه من ماله بين يديه .

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ ^(٥) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ^(٥) .

(١) الفتح : ١١ .

(٢) المنافقون : ٩ .

(٣) سبأ : ٣٧ .

(٤) روى من عدة طرق :

حديث علي : أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٤٨٤٥) .

وحديث جابر : أخرجه الطيالسي (١٧٥٥) .

وحديث سهل بن سعد : أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » (٧٤٦) ، والحاكم في «

المستدرک » (٣٢٤/٤ - ٣٢٥) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (١٠٨/٢) ، والسهيمي

في « تاريخ جرجان » (٨٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٥٣/٣) .

وحديث أنس : أخرجه ابن حبان في « المجروحين » (٤٤/٣) .

(٥) الشعراء ٨٨-٨٩ .

وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ
وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ ^(١)

فأماً إن خلف من يدعو له من أهله ، أو قدم شيئاً من ماله فإنه ينتفع
به .

كما في « صحيح مسلم » ^(٢) عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : « إذا
مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : إلا من صدقة جارية ، أو ولد صالح
يدعو له ، أو علم نافع » .

فأهله لا ينفعه منهم بعد موته إلا من استغفر له ودعا له ، وقد لا يفعل .
وقد يكون الأجنبي أنفع للميت من أهله ، كما قال بعض الصالحين
: وأين مثل الأخ الصالح ؟! أهلك يقتسمون ميراثك ، وهو قد تفرد بحزنك ،
يدعو لك ، وأنت بين أطباق الأرض .

فمن الأهل من هو عدو كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ
عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ ^(٣) .

ومنهم من يشتغل عن الميت بحصول (ق/٢/ب) ميراثه كما قيل :

تمر أقاربي جنبات قبري كأن أقاربي لا يعرفوني
وذروا الميراث يقتسمون مالي ولا يألون إن جحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا فيا لله أسرع ما نسوني

قال الحسن : أزهّد الناس في عالم جيرانه ، وشر الناس لميت أهله يكون
عليه ولا يقضون دينه .

(١) الأنعام : ٩٤ .

(٢) برقم (١٦٣١)

(٣) التغابن : ١٤ .

يشير إلى أنهم يفعلون ما يضره ويتركون ما ينفعه ؛ فالبكاء إذا كان معه ندبٌ أو نوحٌ أو تسخط يُعذَّب به الميت .

وإنما سيكون لفقد حظوظهم منه ، فبكاؤهم على أنفسهم لا على ميتهم .

احتضر بعضُ الصالحين فبكى أبواه وولده ، فسألهم عن بكائهم ، فذكر أبواه ما يتعجلانه من فقدّه ووحشتهم بعده .

وذكر ولده ما يتعجلون من فقدّه ويُتمهم بعده ، فقال : كلُّكم بكى لدنياي، أما منكم من يبكي لآخرتي ؟!

أما منكم من يبكي لما يلقاه في التراب وجهي ؟!

أما منكم من يبكي لمسائلة منكر ونكير إياي ؟!

أما منكم من يبكي لمقامي بين يدي ربي ؟!

ثم صرخ صرخةً فمات رحمه الله .

وأكثر الورثة لا يُوفون دين مورثهم ، فيتركونه مرتهناً محتبساً بدينه ، كما قال النبي ﷺ لقوم مات منهم ميت : « إن صاحبكم محتبسٌ بدينه ، فإن شئتم فأسلموه أو فُكَّوه »^(١) أو كما قال .

(ق ٣/١) وبكل حال فليوطن الإنسان في الدنيا نفسه على مفارقة أهله

كما قيل :

أيا فرقة الأحباب لا بد لي منك ويا دار دنيا إنني راحلٌ عنك

ألا أيّ حيّ ليس بالموت موقناً وأيّ يقين منه أشبه بالشك

ولا يتنفع الميت بعد موته بأهله ولا غيرهم ، إلا بالاستغفار له ودعائهم وترحمهم ، أو صدقتهم عنه .

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١١، ١٣، ٢٠)، وأبو داود (٣٣٤١)، والنسائي من حديث سمرة .

ويتنفع بزيارة من زاره ويسلم عليه ويستأنس بذلك .
 وقد وصَّى عمرو بن العاص ، أن يقيموا على قبره بعد دفنه بقدر ما تنحرو
 جزور ويقسم لحمها وقال : استأنس بكم ، وأنظر ما أراجع به رسل ربي .
 وفي « سنن أبي داود »^(١) : « أن النبي ﷺ كان إذا دفن الميت قال :
 سلوا له التثبيت ، فإنه الآن يُسأل » .
 وأما إقامتهم عنده بعد ذلك فلا ينتفع به .

ضربت امرأة الحسن بن الحسن بن علي على قبره بالبيع فسطاطاً سنة ، ثم
 نزعت بعد السنة وانصرفت ، فسمعوا هاتفاً بالبيع يقول : هل وجدوا ما
 فقدوا؟ فأجابه مجيبٌ من الناحية الأخرى : بل يسوا فانقلبوا .
 لما دُفن داود الطائي حضر جنازته أهل الكوفة ، وأثنى عليه ابن السماك
 بأعماله الصالحة ، والناس يصدقونه على قوله : فقام أبو بكر النهشلي^(٢) فقال :
 اللهم لا تكله إلى عمله ، فأعجب الناس قوله فلما انصرفوا قال ابن السماك :
 ياداود رجعنا وتركناك ، ولو أقمنا ما أنفعناك (ق/٣/ب) ثم أنشأ يقول :

انصرف الناس إلى دورهم وغُودر الميت في رسمه^(٣)
 مرتهن النفس بأعماله لا يرتجى الإطلاق عن حبسه
 لنفسه صالح أعماله وما سواها فعلى نفسه

ومع هذا فالمؤمن يبشِّرُ في قبره بصلاح ولده من بعده ؛ لتقرَّ عينه .
 وأعمال الأحياء تُعرض على أقاربهم من الموتى فيسرون بالأعمال الصالحة ،
 ويدعون لأهلها بالتوبة والزيادة .
 وتسوءهم الأعمال السيئة ، ويدعون لأهلها بالتوبة والمراجعة .

(١) برقم (٣٢٢١) من حديث عثمان بن عفان .

(٢) في « الأصل » : النهلي . وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) الرمس : القبر . « اللسان » مادة : (رمس) .

وفي ذلك آثارٌ وأحاديثٌ كثيرةٌ قد ذكرت في «أهوال القبور» في موضع آخر.

وتنزل الملائكة عند موت المؤمن بالبشرى له ، ويقال له : لا تخف مما أنت قادمٌ عليه ، ولا تحزن على من خلفت من أهلك ؛ فإنَّ الله يتكفل بهم ، فتقرَّ عين المؤمن بذلك .

فهذا أحد الأخلاء الثلاثة ، وهو الأهل يصلون مع خليلهم إلى باب الملك وهو اللحد ، ثم يرجعون عنه .

وأما الخليل الثاني وهو المال ، فيرجع عن صاحبه أولاً ولا يدخل معه قبره ، ورجوعه كناية عن عدم مصاحبته له في قبره ودخوله معه .

وقد فسر بعضهم المال الراجع بمن يتبعه من رقيقه ، ثم يرجعون مع الأهل فلا يتنفع الميت (ق ٤/١) بشيء من ماله بعد موته ، إلا بما كان قدمه بين يديه ؛ فإنه يقدم عليه وهو داخلٌ في عمله الذي يصحبه في قبره .

فأما ما خلفه وتركه ، فهو لورثته لا له ، وإنما كان خازناً لورثته .

وفي « صحيح مسلم »^(١) عن النبي ﷺ قال : « يقول ابن آدم : مالي مالي ، قال : وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » .

وفيه أيضاً^(٢) عن النبي ﷺ قال : « يقول العبد: مالي مالي ، إنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فاقتنى ، وما سوى ذلك فهو ذاهبٌ وتاركه للناس » .

وفي « صحيح البخاري »^(٣) عنه ﷺ قال : « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا : ما منّا إلا ماله أحب إليه من مال وارثه . قال : فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما آخر » .

(١) برقم (٢٩٥٨) .

(٢) برقم (٢٩٥٩) .

(٣) برقم (٦٤٤٢) .

فلا ينتفع العبدُ من ماله إلا بما قدّمه لنفسه ، وأنفقّه في سبيل الله - عز وجل .

فأمّا ما أكله ولبسه فإنه لا له ولا عليه ، إلا أن يكون فيه نيّةٌ صالحةٌ .
وقيل : بل يثاب عليه مطلقاً .

فأمّا ما أنفقّه في المعاصي فهو عليه لا له ، وكذلك ما أمسكه ولم يؤد حق الله عز وجل منه ؛ فإنه يمثّلُ له شجاعاً أقرع ، يتبعه وهو يفرُّ منه ، حتى يأخذ (بلهزمته)^(١) ويقول : أنا مالك ! أنا كنزك ، ويلقمه يده فيقضّمها قضم الفحل^(٢) .

وإن (ق/٤ ب) كان المكنوز ذهباً أو فضةً جعل صفائح ، فأحمي عليها ، ثم كُوي بها جبينه وجبهته وجنبه .

لا تدخر غير التقى فالمال لا يدخرُ فأخسر لأمر بنا اعتدلوا واعتبروا فمن تحقّق هذا ، فليقدّم لنفسه من ماله ما يحبُّ ، فإنه إذا قدّمه كان له وبين يديه ، ينتفع به في دار الإقامة .

وإذا خلّفه كان لغيره لا له ، وقد يكون هو ممن يجبسه عن النفقة في سبيل الله ، فيراه يوم القيامة في ميزان غيره ، فيتحسر على ذلك ، فيدخل هو بماله النار ، ويدخل وارثه به الجنة !! .

فالعاقل هو من قدم من ماله ما يحبه ، فيفوز به في دار الإقامة ؛ فإن من أحب شيئاً استصحبه معه ، ولا يدعه لغيره ، فيندم حين لا ينفعه الندم .

ذكر ابن أبي الدنيا من حديث عبد الله بن عبيد بن عمير مرسلاً « أن رجلاً قال : يا رسول الله ، ما لي لا أحب الموت ؟ قال : لك مال ؟ قال : نعم ، قال : فقدّمه ؛ فإن قلب المرء مع ماله ، إن قدّمه أحب أن يلحق به ، وإن أخره أحب أن يتأخر معه »^(٣) .

(١) لهزمته : يعني شدقيه . « اللسان » مادة : (لهزه) .

(٢) أخرجه البخاري (١٤٠٣) ، ومسلم (٩٨٧) .

(٣) أخرجه ابن المبارك في كتاب « الزهد » (٦٣٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/٣٥٩) .

وقال بعض الملوك لأبي حازم الزاهد: ما بالناس نكرو الموت ؟ قال :
لتعظيمك الدنيا ، جعلت مالك بين عينيك فأنت تكره فراقه، ولو قدمته
لآخرتك لأحببت اللحق به .

(ق/٥/١) قال الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(١) .

كان ابن عمر لا يعجبه شيء من ماله إلا قدمه لله ، حتى إنه كان يوماً
راكباً على ناقة فأعجبته ، فنزل عنها في الحال وقلدها وجعلها هدياً لله
عز وجل .

وكان له جارية يحبها حباً شديداً ، فأعتقها وزوجها بمولاه نافع ، فولدت
لنافع أولاداً ، فكان ابن عمر ربما أخذ بعض أولادها فشمه ، وقال : واهاً
لريح فلانة - يعني : أم ذلك الولد^(٢) .

دخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته ، فقال : يا أبا ذر ،
أين متاعكم؟ قال : إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح متاعنا! . قال : إنه لا بد لك من
متاع ، ما دمت ههنا قال : إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه .

يا جامع الأموال بادر صرفها	واعلم بأن الطالبين جثاث
خذ من تراثك ما استطعت فإنما	شركاؤك الأيام والأحداث
لم يقض حق المال إلا معشر	نظروا الزمان يعيث فيه فعاثوا
ما كان فيه فضلاً عن قوته	فليعلمن بأنه ميراث

(١) آل عمران : ٩٢ .

(٢) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١٦٧/٤) (طبعة دار صادر) قال : أخبرنا محمد
ابن يزيد بن خنيس ، قال : سمعت عبد العزيز بن أبي رواد ، قال : أخبرني نافع أن
عبد الله بن عمر كانت له جارية . . . فذكر القصة .

وذكر القصة الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٢/٦٦) ، وابن حجر في « الإصابة »
(١٨٧/٤) طبعة دار الجليل بتحقيق البجاوي .

قلت : في إسناده محمد بن يزيد بن خنيس المكي ، قال الحافظ في « التقریب » :
مقبول . أي حيث يتابع وإلا فهو ضعيف ، ولم يتابعه أحد على ما وقفت عليه ، وعبد
العزيز بن أبي رواد : صدوق ربما وهم . فالإسناد ضعيف ، والله أعلم .

قال الحسن: بشئ الرفيقان الدرهم والدينار لا ينفعانك حتي يفارقانك .

وقيل لبعضهم : جمع فلان مالا ، قال: هل جمع عمراً ينفقه فيه؟
قالوا: لا . قال: ما جمع شيئاً .

جمعت مالا ففكر هل جمعت له يا جامع المال أياماً تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه ما المال مالك إلا حين تنفقه
(ق/٥ ب) من قدم اليوم شيئاً قدم عليه غداً، ومن لم يقدم شيئاً قدم على
غير شيء، فطال فقره في دار الإقامة

قال {بعض} (١) السلف: ابن آدم ، إنما تسكن يوم القيامة فيما بنيت ،
وتنزل يومئذ علي ما نقلت في حياتك من متاعك .

دخلت امرأة على عائشة قد شلت يدها فقالت : يا أم المؤمنين ، بتُّ
البارحة صحيحة اليد فأصبحت شلاء ! قالت عائشة : وما ذاك ؟ قالت: كان
لي أبوان موسران ، كان أبي يعطي الزكاة ويقرّي الضيف ويعطي السائل ولا
يحقر من الخير شيئاً إلا فعله ، وكانت أمي امرأة بخيلة ممسكة ، لا تصنع في
مالها خيراً ، فمات أبي ثم ماتت أمي بعده بشهرين ، فرأيت البارحة في منامي
أبي وعليه ثوبان أصفران ، بين يديه نهر جارٍ ، قلت : يا أبه ما هذا؟ قال : يا
بنية ، من يعمل في هذه الدنيا خيراً يره ، هذا أعطانيه الله تعالى . قلت : فما
فعلت أمي ؟ قال : وقد ماتت أملك ؟! قلت : نعم ، قال: هيهات ! عدلت
عنا ، فاذهبي فالتمسيتها ذات الشمال ، فملت عن شمالي ، فإذا أنا بأمي قائمة
عريانة متزرة بخرقه ، بيدها شحيمة تنادي : والهفاه ، واحسرتاه ، واعطشاه .
فإذا بلغها الجهد دلكت تلك الشحيمة براحتها ثم لحستها ، وإذا بين يديها نهر
جار ، قلت : يا {أما} (١) ما لك تنادين العطش (ق/٦ أ) وبين يديك نهر
جار ؟! قالت: لا أترك أن أشرب منه . قلت : أفلا أسقيك؟ قالت: وددت
أنك فعلت ، فغرفت لها غرفة فسقيتها ، فلما شربت نادى مناد من ذات

(١) ليست في « الأصل » والسياق يقتضيها .

اليمين: ألا من سقي هذه المرأة شلت يمينه مرتين - فأصبحت شلاء اليمين ، لا أستطيع أن أعمل يميني . قالت لها عائشة : وعرفت الخرقه؟ قالت : نعم يا أم المؤمنين ، وهي التي رأيته عليها، ما رأيت أُمي تصدقت بشيء قط ، إلا أن أبي نحر ذات يوم ثوراً ، فجاء سائل فعمدت أُمي إلى عظم عليه شحيمة فناولتها إياه ، وما رأيته تصدقت بشيء إلا أن سائلاً جاء يسأل ، فعمدت أُمي إلى خرقه فناولتها إياه .

فكبرت عائشة - رضي الله عنها - وقالت: صدق الله وبلغ رسوله ﷺ : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾^(١) .

أخرجه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب « الترغيب والترهيب » من طريق أبي الشيخ الأصبهاني الحافظ بإسناد حسن .

من خرج إلى سفر من أسفار الدنيا بغير زاد ، ندم حيث يحتاج إلى الزاد، فلا ينفعه الندم وربما هلك . فكيف بمن رحل إلى سفر الآخرة مع طوله ومشقته بغير زاد؟!

السُّقْمُ في جسمي له تزدداد والعمر ينقص والذنوب تزاد
ما أبعدُ سفرتي وما لي زاد ما أكثر بهرجي ولي نقّاد
(ق/٦ ب) كان عليّ - رضي الله عنه - يقول في الليل : آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

وبكى أبو هريرة عند موته وقال : إنما أبكي على بعد سفري وقلة زادي . إذا شكا من قلة الزاد من زاده كثير فكيف يقول من لا زاد له ؟!

يا جامع المال ما أعددت للحفر

هل يغفل الزاد من أضحى على سفر

(١) الزلزلة : ٧-٨ .

قال ابن السماك : ما بكوا لسكرة الموت ، إنما بكوا لحسرة الفوت ،
خرجوا من دار لم يتزودوا منها ، وقدموا على دار لا زاد لهم فيها .

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى

وأبصرت بعد الموت من قد تزودا

ندمت علي أن لا تكون شركته

وأرصدت ما قد كان من قبل أرصدا

أما الخليل الثالث : فهو العمل ، وهو الخليل الذي يدخل مع صاحبه قبره
فيكون معه فيه ، ويكون معه إذا بعث ، ويكون معه في مواقف القيامة ،
وعلى الصراط ، وعند الميزان ، وبه تُقَسَّم المنازل في الجنة والنار .

قال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَأَنفُسِهِمْ
يَمْهَدُونَ ﴾ ^(٢) . قال بعض السلف : في القبر .

يعني أن العمل الصالح يكون مهاداً لصاحبه في القبر ، حيث لا يكون
(ق/٧ أ) للعبد من متاع الدنيا فراشٌ ولا وسادٌ ولا مهادٌ ؛ بل كل عامل يفتersh
عمله ويتوسده من خيرٍ أو شر .

فالعاقل من عمر بيته الذي تطول إقامته فيه ، ولو عمره بخراب بيته
الذي يرحل عنه قريباً لم يكن مغبوناً ؛ بل كان رابحاً .

قال وهب بن منبه : قال لقمان لابنه : يا بني ، لكل إنسان بيتان : بيتٌ
غائبٌ ، وبيتٌ شاهدٌ ؛ فلا يُلْهِئَنَّ بيتك الشاهد الذي فيه عمرك القليل ، عن
بيتك الغائب الذي فيه عمرك الطويل .

(١) فصلت : ٤٦ .

(٢) الروم : ٤٤ .

وقال بعض السلف : اعمل للدنيا على قدر مكثك فيها ، واعمل للآخرة على قدر مكثك فيها .

وقال بعضهم : لابن آدم بيتان : بيتٌ على الأرض ، وبيتٌ في بطن الأرض ، فعمد إلى الذي على وجه الأرض ، فزخره وزينه ، وجعل فيه أبواباً للشمال ، وأبواباً للجنوب ، ووضع فيه ما يصلحه لشتائه وصيفه ، ثم عمد إلى الذي في بطن الأرض فأخربه ؛ فإذا قيل : هذا البيت الذي أصلحته كم تقيم فيه ؟ قال : لا أدري . قيل له : والذي أخربته كم تقيم فيه ؟ قال : فيه مقامي . قال : تقرُّ بهذا على نفسك وأنت رجلٌ تعقل ؟!

كان عثمان بن أبي العاص - رضي الله عنه - في المقابر في جنازة ومعه شاب من أقاربه فيه بعض غفلة ، فقال عثمان : اطلع إلى بيتك ، فاطلع في القبر . فقال له : ما ترى ؟ قال : أرى (ق/٧ب) بيتاً ضيقاً مظلماً ، ليس فيه طعامٌ ولا شرابٌ ولا زوجة ، وقد تركت بيتاً فيه طعامٌ وشرابٌ وزوجة ، قال : فإن هذا والله بيتك . قال : صدقت ، أما والله لو رجعت نقلت من ذلك إلى هذا .

قال الحسن : تبع رجلٌ من المسلمين جنازة أخيه ، فلماً دُلي في قبره قال الرجل : ما أرى تبعك من الدنيا إلا ثلاثة أثواب ، أما والله لقد تركتُ بيتي كثير المتاع ، أما والله إن أقالني الله حتى أرجع لأقدمته بين يدي . قال : فرجع فقدمه - والله - بين يديه ، وكانوا يرون أنه كان عمر بن عبد العزيز . وكان ينشد هذه الأبيات كثيراً :

من كان حين تصيبُ الشمسُ جبهته

أو الغبارُ يخافُ الشين والشَّعْثَا

ويألفُ الظل كي تبقى بشاشته

فسوف يسكن يوماً راغماً جدثاً^(١)

(١) الجدث: القبر . « اللسان » مادة : (جدث) .

في ظل مقبرة غبراء مظلمة

يطيل تحت الثرى في غمها اللبثا

تجهزي بجهاز تبلغين به

يا نفس قبل الردى لم تخلقي عبثا

فالمؤمن يأتيه عمله الصالح في قبره في أحسن صورة ، فيبشره بالسعادة من الله ، والكافر بعكس ذلك .

والأعمال الصالحة تُحيط بالمؤمن في قبره ؛ في « صحيح ابن حبان »^(١) عن أبي هريرة مرفوعاً : « والذي نفسي بيده ، إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه ، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه ، والزكاة عن يمينه ، والصوم عن شماله ، وفعل الخيرات والمعروف والإحسان (ق/٨) إلى الناس من قبل رجله ، فيؤتى من قبل رأسه ، فتقول الصلاة : ليس قبلي مدخل ... » وذكر سائر الأعمال كذلك ، وقال في الكافر : « يؤتى من هذه الجهات فلا يوجد شيء فيجلس خائفاً مرعوباً » .

قال عطاء بن يسار : إذا وضع الميت في لحده ، فأول شيء يأتيه عمله ، فيضرب فخذه الشمال فيقول : أنا عملك . فيقول : فأين أهلي وولدي وعشيرتي وما خولني الله ؟ فيقول : تركت أهلك وولدك وعشيرتك وما خوَّلك الله وراء ظهرك ، فلم يدخل معك قبرك غيري . فيقول : يا ليتني آترتك على أهلي وولدي وعشيرتي وما خولني الله ، إذ لم يدخل معي غيرك .

قال يزيد الرقاشي : بلغني أن الميت إذا وضع في قبره احتوشته^(٢) أعماله ، ثم أنطقها الله ، فقالت : أيها العبد المنفرد في حفرته ، انقطع عنك الأهل والأهلون ، فلا أنيس لك اليوم غيرنا ، ثم بكى يزيد وقال : طوبى لمن كان أنيسه صالحاً ، والويل لمن كان أنيسه وبالاً .

(١) كما في « الإحسان » (٣١٣٣) .

(٢) أي جعلوه وسطهم . « اللسان » مادة : (حوش) .

تزود قريناً من فعالك إنما
 قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
 وإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن
 بغير الذي يرضى به الله تُشغل
 فلن يصحب الإنسان من بعد موته
 إلى قبره إلا الذي كان يعمل
 ألا إنما الإنسان ضيف لأهله
 يقيم قليلاً عندهم ثم يرحل
 انتهى والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
 تسليماً^(١) .

(١) كتب في الهامش : فتنبه أيها الغافل لامرك قبل أن ترهن بعملك في قبرك ، وتزود
 لطول سفرتك بك في حفرتك ، وتأهب بتحويل عدتك قبل مدتك ، قبل حلول الآجال
 ، وورود الأهوال قبل القيامة ، قبل أن تحاط في قبرك بالأعمال ، وينصرف مشيعوك
 بالآمال ، يتحدثون في قسمة ما خلفت من العقار والأموال .
 والحمد لله - تعالى - طالعت هذه الرسالة الشريفة فوجدتها نافعة مفيدة ، رحمة الله
 تعالى لمؤلفها ولمن طالعها آمين .